أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العُماني في شرق أفريقيا

أ . د - عبدالفتاح حسن أبو علية *

لا شك أن المؤرخين عنوا كثيراً بالدراسات التاريخيّة ذات الصلة بالجانب السياسيّ ، أكثر من عنايتهم بالدراسات التاريخيّة ذات الصلة بالجانب الحضاريّ ، على الرغم من شدة الارتباط بين الجانبين .. وعليه فإن دراسة التاريخ في صورته الحضاريّة ضرورة ، لأن مثل هذه الدراسات تدوّن الإنتاج الحضاريّ لجهد مجتمع بكامله ، ساهم جميع أفراده في تكوين نمط حضاريّ معين ، وأخرجوه في صورته القائمة التي هي بحاجة إلى الاهتمام بها والعناية بتدوين تاريخها .

من البدهي أن هناك عاملاً مؤثراً وعاملاً متأثراً به . وكلما كان العامل المؤثر حضاريّاً وقويّاً ، كانت حصيلة النتائج الناجمة عن هذا الالتقاء كبيرة ومهمة ومفيدة ؛ لأن كبر حجم تراكم حوادث التأثير لابد وأن تكون متوازية من حجم النتائج الناجمة عن تراكم العامل المؤثر .

وتبرز من خلال تراكم حوادث العامل المؤثر، وحوادث العامل المتأثر به

* بكالوريوس في التاريخ كلية الآداب جامعة دمشق ١٩٦٦م .
- ماجستير في التاريخ الحديث كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٩م .
- دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر ، جامعة القاهرة ١٩٧٣م .
- يعمل الآن عضو هيئة التدريس قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام بالرياض .

عدة قضايا أساس ، مثل : قضية مدى الارتباط القائم بين العاملين ، وقضية مدى قوة الجذب والشد بينهما ، وقضية عمق العامل المؤثر على العامل المتأثر به، وقد استند هذا على أُسس من أهمها : قوة التأثير من جهة ، وفترة التأثير المجدي والجاد من جهة أخرى .

وقد شاركت عدة عوامل فاعلة في جعل العامل الحضاريّ العُمانيّ عاملاً مؤثراً في مناطق شرقيّ أفريقيا ، يأتي في مقدمتها العوامل التالية :

١ - جهود الشعب العُمانيّ في مجالات الحضارة والأنشطة الاقتصاديّة ، بخاصة هذا الجهد هو جهد ممتد ومتواصل في مجال ركوب البحر والتجارة على المستويين الدولي والمحلي ، والجهد التجاري العماني مع مناطقّ شرقيّ آسيا ومناطق شرقيّ أفريقيا . فقد لعب البحار العمانيّ والتاجر العماني دوراً أساساً في هذا المجال مما أكسبه خبرة حضارية واسعة على مدى حقب تاريخه التجاري والبحري الطويل .

٢ - القيم الحضاريّة والأخلاق العالية التي ظل يتمتع بها البحار العمانيّ والتاجر العمانيّ أثناء معاملاته التجارية وعلاقاته الفرديّة مع السكان الذين عاملهم ، واحتك بهم في معاملاته التي ظلت تستند على أساس الانتماء إلى المبدأ والأصل ، مما ساهم في تقوية العامل الحضاري المؤثر ، وأكسب عمان سمعة حضارية كبيرة، وبخاصة بعد ما أحدثه هذا العامل الحضاري من تأثيرات حضارية عميقة في مناطق شرقيّ أفريقيا .

٣ - تشجيع السلطنة العمانية للتاجر العمانيّ والحركة التجاريّة العمانيّة التي جابت أساطلها التجاريّة ساحل المحيط الهنديّ ، والسواحل الشرقيّة للقارة

الأفريقيّة . فقد شجعت حكومات السلطنة العمانيّة ، وبخاصة في عهد أسرة البوسعيد التجارة العمانيّة ، والتجارة الخارجية عن طريق إجراءات خفض الرسوم الجمركية التي لم تتجاوز ٥٪ ، إضافة إلى الحماية التي أسدتها تلك الحكومات للبحار العماني ، والتاجر العمانيّ . فقد عاضدت تلك الإجراءات الحكومية جهد الشعب العمانيّ ومسيرته الحضاريّة ، وجعلت شعبها يشعر بالراحة والسرور ، وانعكس هذا الجهد على عمان ، فغدت دولة بحرية ذات مستوى رفيع بالنسبة إلى مستوى الوحدات السياسيّة في المنطقة . ولم يقتصر هذا التشجيع الحكوميّ للحركة التجاريّة على العمانيّ وحده ، وإنما امتد ذلك التشجيع في عهد السيد سعيد بن سلطان إلى التجار الأجانب من أمريكيين وإنجليز وفرنسيين ورعايا الولايات الألمانيّة والهنود وغيرهم[١] . وساهم الاستقرار السياسيّ والأمني في عهد أسرة البوسعيد ، وبخاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان على نمو الحركة التجارية والجهد الحضاري العماني .

٤ - وقد ساهم موقع عمان ، وموانئه في صقل الوظيفة الاقتصادية للعماني ؛ لأنه يقع على طرق التجارة الدولية المارة في الخليج العربيّ وبحر العرب، والبحر الأحمر، تلك الطرق التي تعبرها السفن المحملة بالسلع التجاريّة المحليّة، والسلع التجارية القادمة من الهند وأفريقيا والعائدة إليهما. وظل هذا

(١) انظر : Coupland, R. The Exploitation of East Africa, 1856 - 1890 (London, 1939) p.4 .

- زيدان ، جورجي ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، جـ١ ، بيروت ، ص١٦٧ .

وانظر أيضاً الوثيقة الإنجليزية رقم : India Office Records L/P+S / 20/C, 248 A, pp 58 - 59.

الموقع يوصل أهله بالعالم الخارجي، وبخاصة أن السلطنة العمانية محاطة من جميع جهاتها باستثناء الجهة الغربية، بصحراء قاحلة ذات رمال متحركة، يصبح من الصعب اختراقها في ظل وسائل المواصلات السائدة يومئذ ، مما دفع العمانيين إلى الاتجاه نحو البحر وركوبه ، فأصبح أهل عمان على مر مراحل تاريخهم الطويل بحارة مهرة . ووجدوا في مياه الخليج منفذاً لهم على العالم الخارجي ، فعملوا في التجارة والغوص ، بحثاً عن اللؤلؤ .

جذور التأثير الحضاري العمانيّ في شرق أفريقيا :

إنّ هناك صلة بين ممارسة أهل عمان للعمل البحري والتجاري وبين تأثيرهم الحضاري في مناطق شرقي أفريقيا ؛ لأن العملية التجارية هي في حد ذاتها وسيلة احتكاك حضاري بالأمم على الرغم من اختلاف الجنس والدين والمعتقد والمذهب ، وهي أيضاً عملية حضارية فيها كثير من علائم التأثير والتأثر ، وهو الأسلوب الذي مارسه البحار العمانيّ والتاجر العماني في الدائرة الجغرافية التي تاجر معها أو أبحر إليها . وبما أن التجارة هي نفسها معاملات حسابية محددة ومقننة ، فهي في الوقت نفسه أسلوب ممتاز لإقامة صلات حضارية قائمة على أساس الأخلاق والمبادئ ، وهو ما مارسه العمانيون من خلال عملياتهم التجارية والبحرية على طول تاريخهم الممتد ، وقد أكسبهم هذا خبرة من جراء احتكاكهم بغيرهم .

وعلى الرغم من وجود هجرات عربيّة محدودة إلى مناطق شرقي أفريقيا والمناطق الأفريقية الداخليّة المتاخمة للساحل في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، إلا أن جذور الهجرات السكانية العمانية إلى تلك المنطقة كانت بعد ظهور

الإسلام، وبخاصة في فترة حكم الدولة الأمويّة وما انتابها من منازعات دينيّة. وقد تتابعت الهجرات السكانية العمانية في حقب تاريخية مختلفة. وكان جل نشاطها الاقتصادي يرتكز على التجارة ؛ لأن العمانيين أحبوا البحر وركوبه، وأحبوا العمل بالتجارة . وقد تركز هذ الجهد بشكل واضح في العصر الحديث .

وكان مما قواه وساعده تزود التاجر العماني بمبادئ الدين الإسلامي الخالدة، فقد أكسبت هذه المبادئ التاجر العماني جانباً كبيراً من الحضارة والعلاقات الإنسانية ذات الصلة بالمعاملات الفردية والجماعية . وتمكن العمانيون أن يثبتوا كيانهم الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي ليس في منطقة الساحل الأفريقي فحسب، وإنما في بعض المناطق الداخلية التي تتصل بالساحل عن طريق المعابر التجارية . ولم يقتصر العمل التجاري العماني على مناطق شرقي أفريقيا، بل تعداه إلى مناطق الهند والصين[١]. وأصبحت التجارة العمانية سيدة الطرق التجارية البحرية الموصلة إلى الهند، وإلى الساحل الشرقي الأفريقي ، على الرغم ممّا كان يعترض ذلك من صعوبات .

ولعب الأسطول العمانيّ في عهد أسرة اليعاربة دوراً كبيراً ومميزاً في الجهاد الإسلامي ضد البرتغاليين المستعمرين . وتضافرت جهود الأسرة العمانيّة ضد البرتغاليين في ظل حكم المجاهد اليعربيّ سلطان بن سيف الذي تمكن من طردهم من أرض عمان عام ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م[١].. وتمكن هذا الحاكم من نشر الأمن والاستقرار في ربوع عمان ، وأراح المنطقة من الخطر البرتغالي الاستعماري. وتابع العمانيون جهادهم ضد الحكم البرتغالي الصليبي في مناطق

(١) العمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، طبع وزارة التراث القومي بسلطنة عمان (بدون) ، ص٩ ، ١٠ .

شرقي أفريقيا ، وفي مناطق الهند[١] وبرّز العمانيون اليعاربة في ساحة الجهاد الإسلامي ضد هؤلاء البرتغاليين . وقد أكسبهم جهادهم هذا قوة وسمعة طيبة ليس في مناطق الخليج فحسب ، وإنما أيضاً في مناطق شرقي أفريقيا والهند . وقد ساعد هذا الجهد الجهادي على ترسيخ قواعد الجهد الحضاري العماني : التجاري ، والبحري في مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا الذي عانى من ويلات الاستعمار البرتغالي الذي امتد في تلك الجهات من جزيرة سقطرة شمالاً إلى رأس دلغادو جنوباً[٢] .

ويعد الجهاد العماني ضد البرتغاليين في ظل عهد أسرة اليعاربة[*] ، وتصفية النفوذ البرتغالي في مناطق شرقي أفريقيا ، فرصة ممتازة ومواتية لمد نفوذ تلك الأسرة على جميع المناطق التي خلصوها من الاستعمار البرتغالي ، وكان مثل هذا الأمر يلقى قبولاً لدى السكان هناك مكافأة للدور القيادي الذي قام به العمانيون ضد البرتغاليين في مناطق شرقي أفريقيا . وعلى الرغم من الظروف التي لم تكن مواتية لتنفيذ هذا المشروع في عهد سلطان بن سيف الذي خلف والده في حكم عمان عام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م ، إلا أن هذا المشروع نفذ في عهد أسرة البوسعيد ، في عهد السيد سعيد بن سلطان[٣] .

(١) انظر تفصيل ذلك في : د . قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ١٧٤١ - ١٨٦١م مكتبة القاهرة الحديثة (بدون) ص ص٢٠ - ٢٦ .

(٢) Coupland, O P. Cite, P. 69.

(*) لمزيد من التفصيل عن جهاد دولة اليعاربة ضد البرتغاليين ، ارجع إلى :
- نور الدين السالميّ ، تحفة الأعيان .
- عائشة السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا .

(٣) Middleton, John and Combell, Jane, Zengibar, its Society and its Politics (London, 1965).

وقد اينع الجهد العماني في مناطق شرقي أفريقيا في عهد أسرة البوسعيد التي شجعت هذا ورعته .. وغدت مدينة مسقط عاصمة البوسعيد من الموانئ الرئيسة في منطقة الخليج . وأصبحت المركز التجاري الأول للسلطنة العمانية . وقد عني حكم البوسعيد بميناء مسقط عناية كبيرة ، فحصنوه بالقلاع والأبراج والحصون ، وأحاطوه من جميع جهاته - عدا جهة البحر - بسور بلغ ارتفاعه في حدود خمسة عشر قدماً [(١)] .

وغدت مسقط بمينائها، وتحصيناتها، وأسواقها، وحياتها الاجتماعية مظهراً يعبر عن مدى قوة السلطنة العمانيّة حينئذ ، واهتمامها بأمر عاصمة البلاد ونشاطها البحريّ والتجاريّ . وقد ساهمت فئة التجار والبحارة العمانية بقدر كبير في مجال ازدهار البلاد العمانية وتقدمها، وبخاصة تقدم مسقط وازدهارها.

وعرفت تلك الفئة كيف تستفيد من كل الظروف لتجعل بلادها رائدة في مجال التجارة وركوب البحر . وغدت عاصمة البلاد أغنى موانئ الخليج وأكثرها ازدهاراً . وقد أعرب مالكولم "Malcolm" في تقرير له عام ١٨٠٠م بهذه الحقيقة فذكر أن خمسة أثمان ٨/٥ التجارة الخليجية كانت تمر بميناء مسقط ، باعتباره نقطة تجارية مهمة تجتمع فيه معظم السفن الآتية من خارج الخليج العائدة إلى مراكز تجارتها في الهند ومناطق شرقي أفريقيا . وقدر "مالكولم" قيمة التجارة الخليجية في تلك السنة بحوالي (١٦,٠٠٠,٠٠٠) روبيّة ، وكانت حصة ميناء مسقط منها حوالي (١٠,٠٠٠,٠٠٠) روبية[(٢)] .

(١) القطامي ، عيسى ، دليل المحتار في علم البحار ، ط٤ ، الكويت ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م، ص٤٩ .

(٢) (I. O. R.) L/P and S/20/C 227, Appendix H.

وكانت معظم السلع التي تصل إلى هذا الميناء يعاد تصديرها إلى خارج مسقط بوساطة السفن التجارية العمانية ، وبخاصة إلى مناطق شرقي أفريقيا . وغدا العمانيون بحارة الخليج وربانيه من دون منازع .

وجدير بالذكر هنا أن جزيرة زنجبار أصبحت منذ عام ١٨٠٠م مركزاً حيوياً ورئيساً للأعمال التجارية الدولية على طول الساحل الأفريقي الشرقي(١). وصارت تلك الجزيرة مركزاً يلتقي فيه تجار من أنحاء العالم من عرب وهنود ، وإنجليز وفرنسيين ، وألمان ، وأمريكيين وغيرهم . ولا شك أن بزوغ فجر زنجبار في المجالات التجارية والاقتصادية الدولية كان قد شجع التجار العمانيين على تركيز جهودهم التجارية في مناطق شرقي أفريقيا . وكان هذا فاتحة لجهد عماني جديد ومتطور في تلك المناطق . وساهم الانقلاب الصناعي الميكانيكي العالمي في تطوير الجهد التجاري إلى حد كبير ، وهذا بدوره ساهم في تنشيط الجهد الحضاري في تلك الجهات .

وتشير المصادر التاريخية أن موجة من الهجرة السكانية العمانية وصلت إلى مناطق شرقي أفريقيا بعد أن تمكن السيد سعيد بن سلطان من توسيع دائرة حكمه في مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا منذ عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م ، واستطاع ضم منطقة كبيرة تمتد من موزمبيق الآن في الجنوب إلى برافا على الساحل الصومالي في الشمال . وبعد سنة تمكن السيد سعيد من ضم زنجبار

---

(١) Bennet, Norman R. A History of Arab state of Zanaibar (London, 1967) p. 14.

انظر أيضاً : د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، بحث بعنوان "عن قضايا الخلاف في تطبيق بنود معاهدة عام ١٩٣٣م بين سلطنة عمان وتوابعها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، منشور في مجلة العصور ، العدد الأول ١٩٨٦م .

إلى أملاكه الأفريقية ، ثم جعلها عاصمة سلطنته بعد مرور أربع سنوات على ضمها ، أي عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م [١] .

وعلى الرغم من أن حدود السلطنة العمانية في أفريقيا لم تكن محددة وواضحة تماماً ، إلا أنها كانت حدوداً معتبرة ومتفق عليها في المنطقة . وكان السلطان سعيد يرى أن نفوذه وسيادته تمتد على جميع الساحل والجزر المقابلة "Circumjacent Islands" من رأس ديلكادو "Delgado" على خط عرض ١٠ جنوباً إلى رأس غوردفوي "Gourdfui" على خط عرض ١١,٥° . فشملت أملاكه الأفريقية عدة موانئ مهمة على الساحل الأفريقي الشرقي مثل : ميناء مونغو "Mongho" ، وميناء مونغالو "Mongalow" ، وميناء ليندي "Lyndy" ، وميناء ممبسة "Mombassa" ، وميناء مولنده "Molinda" ، وميناء لامو "Lamo" ، وميناء بات "Patta" ، وميناء برافا "Brava" ، وميناء مقديشو "Mokdesia" ، وميناء غويلو "Quiloa" ، وجزر مافية "Mafeea" ، وزنجبار "Zanaibar" ، وبمبة "Pemba" ، وسقطرة "Socotra" وغير ذلك من الأملاك الأفريقية الأخرى[٢] .

---

(١) Middleton, OP. Cit., p. 4.

(٢) Ruschenberger, W. S. W. (M. D. Surgeon) Narrative of a voyage round the World : During the Years 1912 36 and 37, inclding a Narrative of an embassy of the Sultan of Muscut and King of Siam, vol. 1 (London 1970) P. 122.

انظر أيضاً : د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣ - ١٨٦٢م ، بحث منشور ضمن مجموعة من البحوث التي جمعها المؤلف في كتاب "دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

وهكذا نلاحظ أن مداً من التأثير الحضاري العماني وصل على شكل دفعة قوية إلى بلاد شرقي أفريقيا في العصر الحديث بعد عملية التوسع العماني في المنطقة ، وبخاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي امتد حكمه من عام ١٢٢١ - ١٢٧٣هـ / ١٨٠٦ - ١٨٥٦م ، وكان من أقوى الشخصيات الحاكمة في المنطقة . وقد أسس إمبراطورية عمانية امتدت حدودها إلى ما وراء البحار ، على ساحل أفريقيا الشرقي . وظل الجهد الحضاري العماني مستمراً على الرغم من مجموعة الصعوبات التي كانت تعترضه ، وبخاصة ما انتاب العالم من حوادث دولية كانت سبباً في عرقلة مسيرة الحركة التجارية كما هو الحال في نشوب الحرب النابليونية في الفترة بين ١٧٩٦ - ١٨١٥م ، والصراع البريطاني الأمريكي في الفترة بين ١٨١٢ - ١٨١٥م ، وانعكاس نتائج ذلك الصراع على المسائل الأمنية والاقتصادية . وأثبت العمانيون قدرتهم التجارية والبحرية في خضم الجو السياسي المثقل بالصعوبات والعراقيل والهموم التي ظلت تعيق قدرة الحركة التجارية المحلية والدولية[١] .

واستطاع السيد سعيد أن يثبت قدرة سلطنته على الاحتفاظ بمكانة اقتصادية مرموقة في ممتلكاته الآسيوية والأفريقية . وصار بمقدوره دعم الجهد الحضاري العماني على طول الساحل الأفريقي الشرقي وفي داخل المناطق

(١) د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣ - ١٨٦٢م ، بحث منشور بمجلة كلية العلوم الاجتماعية ، بالرياض ، العدد السادس ، العام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- د . الجنحاني ، حبيب ، دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول ، منشور في حصاد ، مجلد ٣ ، ص ص٤٩ - ٧٤ .

الأفريقية . ولا يعني هذا أن الوجود العماني في شرقي أفريقيا قد تزامن مع حكم أسرة البوسعيد ، وإنما سبق هذا جهد حضاري عماني قام به العمانيون الأجداد الذين صنعوا السفن الشراعية العربية العمانية المسماة بالداو ، وأبحروا بوساطتها إلى شواطيء أفريقيا الشرقية وهي محملة بأنواع السلع العربية مثل: التمور وسمك القرش المجفف والبن والسجاد وغيرها . وقد أفاد الملاح العماني بفضل خبرته الملاحية من الرياح الموسمية التي تهب عادة من الشمال إلى الشرق في شهر ديسمبر فكانت السفن العمانية تخرج محملة بالبضائع في شهر يناير من كل عام ثم تعود إلى عمان في شهري أبريل ومايو من العام نفسه بعد أن تهب الرياح الموسمية من الجنوب إلى الغرب ، فتساعد البحارة على العودة إلى بلادهم في سفنهم الشراعية المحملة بالتوابل والعاج والرقيق وغيرها من السلع الأفريقية المطلوبة في الأسواق الخارجية التي درت أرباحاً كبيرة على التاجر العماني ، مما شجعه على تحمل أعباء المغامرة البحرية المثقلة بالهموم ، وبخاصة أن مسافات السفر كانت طويلة جداً .

وقد أفاد التاجر العماني ليس فقط من أرباحه الناجمة عن تجارة سلع بلاده ومنطقته ، وإنما أفاد أيضاً من أرباح تجارته الخاصة ببيع سلع مناطق شرقي أفريقيا في أسواق الخليج وغيرها . وبهذا الأسلوب يكون التاجر العماني قد لعب دوراً بارزاً في مجال نشر ثقافته وحضارته في البلاد التي يجوبها بتجارته، وهذا جهد لا يقدر بثمن، وبخاصة بعد ما لعب هؤلاء التجار وعائلاتهم دوراً صادقاً في هذا المجال ، وأصبح لهم دور أساس في تاريخ تلك الجهات .

وقد ساعد هذا الجهد الحضاري العربي العماني على تثبيت جذور الوجود

العماني العربي الإسلامي في مناطق شرقي أفريقيا من جهة ، وساهم في بناء الدولة العربية العمانية هناك من جهة أخرى . وظل تاريخ شرقي أفريقيا يرتبط إلى حد كبير بتاريخ الأمة العربية ، وبخاصة تاريخ عمان . وعد العرب العمانيون من أهم الشعوب التي ركزت وجودها في مناطق الشرق الأفريقي عن طريق إقامة قواعد سكانية نشطة في المجالات الاقتصادية والحضارية هناك ، مما أكسبهم مكانة مرموقة ومميزة في تلك الجهات ، ساعدت على تثبيت كيانهم السياسي والاجتماعي والثقافي .

أنماط من مظاهر التأثير الحضاري العماني في شرق أفريقيا :

لا ريب أن هناك عوامل أثرت على زخم التأثير الحضاري العماني في مناطق شرقي أفريقيا ، والمناطق الأفريقيـة الداخليـة المتاخمة للساحل . وهي في الوقت نفسه أثرت على النمط الحضاري الناجم عن التجربة الحضارية العمانية هناك .

فقد اضطلع عدد من علماء عمان وغيرهم من علماء المسلمين الذين هاجروا إلى الساحل الأفريقي الشرقي أثناء القلاقل والمنازعات الدينية التي انتابت عهدي : الخلافة الأموية والعباسية . فقد شارك أولئك العلماء في الأنشطة الحضارية[1] في تلك المنطقة فرسخوا الجهد الحضاري العربي الإسلامي فيها، أضف إلى هذا ما قام به العرب من يمنيين وحضارمة وغيرهما في بناء حضارة عربية في مناطق شرقي أفريقيا في العهود التي سبقت ظهور الإسلام ، وبخاصة أنهم كانوا على مستوى رفيع من الحضارة في مجالات : الزراعة

---

(١) ارنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، مترجم ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص٣٧٨ .

وإقامة القنوات والسدود، وبناء المساكن والقصور، إلى جانب خبرتهم الطويلة في مجال العمل التجاري، وركوب البحار، ومعرفة المواقع الجغرافية المهمة خارج موطنهم . وقد عبرت هجرة عرب جنوبي الجزيرة العربية عن هذا الجهد الحضاري ، وبخاصة هجرتهم التي أعقبت خراب سد مأرب[1] ، مما تلاه من انهيار في القوة الاقتصادية الفاعلة هناك .ولعبت الظروف العامة التي أحاطت بالهجرة العربية العادية والقهرية التي جاءت إلى تلك المناطق تحت تأثير تلك الظروف، دوراً فاعلاً في بناء صرح الحضارة العربية هناك، بفضل ما قام به العرب من عمل جاد وكفاح طويل لإثبات قدرتهم وهويتهم العربية على تلك الأرض التي قطنوها حديثاً. وبرّز العرب العمانيون في هذا المضمار؛ لأن جهدهم في هذا كان قوياً وكبيراً ، عندما ارتبطوا بوطنهم الجديد ارتباطاً جديداً وانتماء إلى الوطن الجديد مع بقاء صلتهم قوية بالوطن الأم .

وأفاد العرب العمانيون فائدة جمة من الخبرة الحربية التي مارسوها، وعلى مدى حقبة طويلة، ضد الاستعمار البرتغالي في عمان، ومناطق الهند وشرقي أفريقيا. فقد أفادتهم تلك التجربة في بناء كيانهم السياسي في شرقي أفريقيا، وفي بعض المناطق الأفريقية الداخلية . وقد أقنع جهادهم هذا السكان الأفريقيين الذين ظلوا يكنون لهم كل احترام وتقدير. والمعروف أن التأثير الحضاري والتأثر به، هما قطبان أساسان في الموضوع . والقاعدة الأساس هو أن الوعاء الحضاري الكبير يزود الوعاء الأقل منه في مجالات الخبرة والتجربة الحضارية . ومن أهم مظاهر التأثير الحضاري العماني في شرقي أفريقيا وبعض مناطقها الداخلية التالي:

(١) Pearce, F., Zanzibar (London, 1920 P. 36).

انتشار الإسلام :

يعدّ نشر الإسلام من أهم مظاهر التأثير الحضاري للعمانيين وغيرهم من المسلمين الذين وصلوا إلى مناطق شرقي أفريقيا وداخلها . فساهموا إلى حد كبير في نشر مبادئ دينهم الحنيف بين الأفريقيين في تلك الجهات . وقد لاقى هذا الجهد قبولاً من قبل السكان الأفريقيين الذين استحسنوا عدالة الإسلام ويسره . ولعب التجار العمانيون دوراً مؤثراً في نشر الإسلام ليس فقط في مناطق أفريقيا الساحلية ، وإنما حملوه إلى عمق القارة الأفريقية . ولعبت علاقاتهم القائمة على الصدق والأخلاق دوراً مهماً في هذا الأمر . ومن الطبيعي أن يمارس العمانيون وغيرهم من المسلمين شعائر دينهم الإسلامي هناك، وقد احتاج هذا إلى إنشاء عدد من مراكز التعليم الإسلامي والثقافة الإسلامية واللغة العربية لغة القرآن الكريم . وتطلب هذا أيضاً بناء عدد من المساجد التي أصبحت مراكز حضارية تعليمية ليس للأفريقيين فحسب، بل للعرب والمسلمين وأبنائهم المقيمين في تلك المناطق الأفريقية . وبذل العلماء المسلمون جهوداً طيبة في هذا المجال ، الإضافة إلى الدور الذي لعبته الأسر العمانية التي أقامت في تلك الديار . وقد شارك الجميع في بناء مجتمع مسلم قامت حضارته على مزج الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأفريقية في إطار حضارة مشتركة غلبت عليها السمات العربية، وطبعت بالطابع الإسلامي. وظل هذا الجهد الحضاري الإسلامي المبكر في شرقي أفريقيا دلالة على جهد الأجداد العمانيين الذين وصلوا إلى تلك الديار منذ وقت مبكر .

فقد شاركت أسرة الجلندي من قبيلة الأزد العمانية التي نزحت إلى ساحل

أفريقيا الشرقي في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بسبب الضغط الأموي عليها[1]. في عملية نشر الدين الإسلامي في أرض ساحل الزنج وهو الاسم الذي أطلقه العرب على ساحل أفريقيا الشرقي، وبخاصة بين الجماعات الأفريقية المقيمة في أرخبيل لامو، بعد أن استطاعت تلك الأسرة من تثبيت وجودها وكيانها السياسي هناك . وقد تقوى هذا الجهد بعد قدوم عدد من الهجرات العربية المتلاحقة إلى المنطقة من مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية القريبة من الساحل الأفريقي مثل : الهجرات القادمة من اليمن، وحضرموت، ومن مناطق الخليج من البحرين، والأحساء، وغيرهما[2]، على الرغم من الخلافات السياسية والفكرية التي كانت تقع بين تلك الجماعات العربية المسلمة في تلك الديار .

ولعب بنو نبهان دوراً بارزاً في نشر الإسلام في مناطق أفريقيا الشرقية وبخاصة في جزيرة بات التي وجدت فيها جالية عربية عمانية كبيرة . واستطاعت تلك الأسرة من تكوين دولة عربية عمانية في تلك الجهات بعد أن فقد رئيسها سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ملكه في عمان . وقد أعطى النبهانيون الوجود العربي الإسلامي زخماً كبيراً ، بعد أن امتدت رقعة تلك الدولة على مساحة واسعة من أرض الساحل الأفريقي الشرقي[3] .

وامتد العطاء الحضاري العماني في شرقي أفريقيا ، فشاركت دولة اليعاربة العمانية في الإسهام بهذا الجهد ، على الرغم من تخصيص معظم

(١) Coupland, East Africa and its invaders, (Oxford, 1938) p. 22.

(٢) د . حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبري شرقي القارة الأفريقية وغربها معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٥٧م ، ص١٢٧ .

(٣) د . زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص١١٩.

جهدها في مقارعة الاستعمار البرتغالي .. فقد ساعدت جهود تلك الدولة في نشر الإسلام ، ومناصرة الجماعات الإسلامية في أفريقيا ، بعد القضاء على النفوذ البرتغالي هناك[1] . وساهم الجهد العربي في تلك الدولة في تقليل الجهد التنصيري في مناطق الساحل الأفريقي الشرقي بعد أن قوضت دولة اليعاربة سلطة البرتغال ، وانهت وجودهم هناك[2] . وقد أدى هذا الجهد العسكري الكبير إلى قيام حالة من الأمن والاستقرار في المنطقة . على الرغم من قيام صراعات محلية أعقبت عملية الطرد البرتغالي، وبعدها أصبحت الظروف العامة مواتية للجهد الحضاري في مناطق الساحل الأفريقي الشرقي .

وشاركت أسرة البوسعيد في الجهد الحضاري العماني في شرقي أفريقيا ومناطقها الداخلية ، في عهد الاستقرار الذي تمكنت الدولة العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان من ترسيخه في زنجبار ومنطقة الساحل الأفريقي الشرقي وبعض المناطق الأفريقية الداخلية . وعلى الرغم من أن دولة البوسعيد في شرقي أفريقيا ركزت على الجانب الحضاري التجاري والبحري ، لكنها ظلت تحمل عبء المسؤوليات الحضارية الأخرى، وعلى رأسها تركيز الدين الإسلامي في تلك المناطق ، والحكم بمقتضى أحكامه، عن طريق القضاة والأمراء والحكام الذين عينتهم الدولة العمانية في تلك الجهات . وقد رسخت دولة البوسعيد

(١) السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، ١٦٢٤ - ١٧٤١م ، بيروت ، ١٩٧٥م، ص١٠٤ .

(٢) د . رأفت غنيمي الشيخ ، دور عمان في بناء حضارة شرقي أفريقية ، بحث قدم إلى ندوة الدراسات العمانية ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ / نوفمبر ١٩٨٠م ، ونشر في حصاد ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، ٦٤ ، ٦٥ .

اللغة العربية والثقافة العربية في تلك المناطق . ويظهر جهد هذه الدولة بشكل واضح في مجال التجارة والعمران والإدارة الحكومية .

وعلى أي حال انتشر الإسلام في شرقي أفريقيا على يد العمانيين وغيرهم من المسلمين في منطقة واسعة امتدت على طول مساحة الدولة العمانية المتعاقبة من رأس غوردفوي شمالاً إلى رأس دلغادو جنوباً . وامتد الإسلام في الداخل في مناطق البحيرات في وسط أفريقيا ، في تنجانيقا ونياسا ومناطق بحيرة فكتوريا . وواصلت عمليات نشر الإسلام ولغته وثقافته إلى مناطق أعالي نهر الكنغو ، وقد ساهم التجار العمانيون بجهد كبير في هذا المجال . وغدت المدن الأفريقية الساحلية مثل : لامو، ومالندي، وممبسة، وزنجبار، وكلوة، وبات وموفيه وغيرها من أهم المراكز ذات السمة العربية الإسلامية ، وهكذا كان الجهد الحضاري العماني جهداً كبيراً في نشر الدين الإسلامي في مناطق أفريقيا . وظلت تلك المراكز الإسلامية قلاع صمود ضد التنصير النصراني الكاثوليكي في تلك الجهات .

انتشار اللغة والثقافة العربية :

ساهمت عدة عوامل في نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في مناطق الساحل الأفريقي الشرقي والمناطق الأفريقية الداخلية ، نذكر من أهمها :

١ - تزايد الهجرات العربية إلى تلك الجهات ، وبخاصة الهجرات العمانية الفردية والمنظمة.. وازداد عمق هذه الهجرات في عهد أسرة البوسعيد، وبالذات في عهد السيد سعيد بن سلطان عندما ركز على ممتلكاته الأفريقية ونقل مركز الحكم هناك.

٢ - النشاط المستمر الذي بذله أفراد الجاليات العربية الإسلامية وعلى رأسها الجالية العمانية التي كانت أكثر عدداً . فكان هدف تلك الجماعات العربية المسلمة نشر دينها ونشر لغتها وثقافتها بين أهالي شرقي أفريقيا[١] .. وبخاصة وأن الكثير من تلك الجاليات كان ذا نزعة دينية إسلامية عربية ، وعليها واجب كبير تجاههما .

٣ - اللغة العربية تفي بمتطلبات المؤسسات الحكومية التي أنشأتها الحكومة العربية العمانية في تلك الديار الأفريقية . وقد دعم هذا الجهد وتقوى بفضل دعم تلك الحكومات التي ظلت تساعد حركة نشر اللغة العربية والثقافة العربية داخل مناطق سيادتها وخارجها كلما كانت الظروف العامة مواتية .

٤ - ما قام به التجار العرب من العمانيين وغيرهم من جهد كبير في نشر لغتهم في المناطق الأفريقية الداخلية بعد أن تمكنوا من إقامة مراكز تجارية عربية مستقرة في تلك المناطق . وظلت الحكومات العمانية في مناطق الساحل الأفريقي تساعد هذا الجهد، وتدعمه ؛ كما أن اللغة العربية غنية بالمصطلحات الفنية التي تساعد في تسهيل الأعمال التجارية .

٥ - ساهمت عملية انتشار الدين الإسلامي بين الأفريقيين في تسهيل عملية انتشار اللغة العربية لأنها السبيل لفهم الدين وقراءة القرآن الكريم وفقه السنة الشريفة .

٦ - لعبت المساجد وحلقات التدريس فيها ، ومجموعة الكتاتيب التي انتشرت لتعليم منهج الإسلام ودوراً بارزاً في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة .

---

(١) ارنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص٣٨٠ .

٧ - ساهمت عملية الزواج والاختلاط بين العرب والأفريقيين في نمو حركة انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المناطق الأفريقية ، وبخاصة أن العرب الوافدين إلى الديار الأفريقية كانوا على مستوى طيب من الحضارة والتقدم مما شجع على تطوير المسيرة الحضارية هناك . واستطاع العمانيون وغيرهم من العرب المسلمين بحضارتهم الراقية تحجيم العمل التنصيري على الرغم من نشاط المبشرين الكاثوليك وغيرهم في تلك الجهات، وقد جاءوا لخدمة الاستعمار الأوربي في أفريقيا . وبفضل الثقل الحضاري الذي كان يتمتع به العرب المسلمون في الساحل الأفريقي الشرقي ، فقد ساعدهم هذا على الحفاظ على هُويتهم ، ولم يذوبوا في بوتقة المجتمع الأفريقي الأصلي [١] ، كما أن وجود العرب الحضاري في تلك الجهات ساعد على تثبيت جذور وحدتهم السياسية ، وقوى حركتهم التجارية التي دعمت هذا الوجود إلى حد كبير .

وبفضل تضافر كل الجهود والعوامل التي ذكرناها آنفاً انتشرت اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية . وغدت مدن الساحل الأفريقي تعج بتلك السمات الحضارية ذات الطابع العربي الإسلامي . وغدت المساجد، والكتاتيب، ومراكز المؤسسات في ظل السيادة العربية العمانية تشكل قواعد ممتازة لنشر اللغة العربية والإسلام بين السكان الأفريقيين في الساحل الشرقي الأفريقي وفي المناطق الأفريقية الداخلية التي

---

(١) Coupland, East Africa, p. 22 .
- د . قاسم ، جمال زكريا ، دولة البوسعيد ، ص٢١١ .

جابها التجار العرب العمانيون على مدى حقب تاريخهم في تلك المناطق. وظل التراث العربي العماني من كتابات وآثار عمرانية، ومساجد[1] وغيرها من البصمات الحضارية ، ماثلاً هناك في كل المناطق التي جابوها أو قطنوها أو أثروا عليها . ولم يقتصر هذا الجهد على المناطق الشمالية من الساحل الأفريقي الشرقي، وإنما توغلوا فيه جنوباً، فوصلوا موزمبيق ومدغشقر. ومن الطبيعي أيضاً أن يلقى انتشار اللغة العربية صعوبات ؛ لأن هذا الأمر يحتاج إلى تعليم وتعلم، ويحتاج إلى مؤسسات علمية تقوم بتلك المسؤولية، لكن العرب من عمانيين وغيرهم تمكنوا من التغلب على تلك الصعوبات ، وقاموا بواجبهم على الرغم من انشغالهم بالأمور التجارية.

وبفضل الاحتكاك الحضاري بين العرب والأفريقيين وما نتج عنه من التقاء حضاري تولد منه مزج بين اللغة العربية واللغة الأفريقية[2] . وعليه فإن اللغة الأفريقية السواحلية ضمت عدداً كبيراً من الكلمات العربية والمفردات العربية ذات الطابع الديني والطابع الفني التجاري . وهذا له معناه ، لأنه يدل على نمط الحضارة العربية الإسلامية ، فهو نمط حضاري متقدم ومؤثر في مجال الدين ، وفي مجال الحركة التجارية وما يلحق بها من أنماط فنية تتلاقى مع هذا المرفق الاقتصادي المهم .

وقد ساهمت الدوائر والمؤسسات العمانية القائمة في تلك الجهات على نشر اللغة العربية ؛ لأنها اللغة الرسمية التي تدون بها المراسلات وكل

(١) د . الجنحاني ، دور عمان في النشاط التجاري العالمي ، ص ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) د . قاسم ، جمال زكريا ، الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، بحث مقدم إلى ندوة الدراسات العمانية ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ / نوفمبر ١٩٨٠م ، ونشر في حصاد ، المجلد ٣ ، ص٨٢ .

مقتضيات الدولة العمانية[1] وزادت تلك المساهمة في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي ثبت دعائم الدولة العمانية في شرقي أفريقيا . وطور مؤسساتها ، ونظم أجهزتها الإدارية .

التجارة العمانية مظهر حضاري في شرق أفريقيا :

لسنا هنا بصدد الحديث عن التجارة العمانية في شرقي أفريقيا وداخلها ، وإنما نخص التأثير الحضاري الناجم عن الجهد العماني التجاري في تلك المناطق ؛ لأن الجهد التجاري جهد حضاري .. وقد عني العمانيون بالتجارة عناية فائقة منذ فجر تاريخهم . وقد تعزز هذا الجهد بعد اعتناقهم الإسلام ، فوصلوا إلى خليج كانتون في الصين . وأصبح ميناء صحار العاصمة العمانية الأولى من أهم الموانئ العربية الإسلامية في منطقة الخليج من جهة ، ومن أهم الموانئ المطلة على المحيط الهندي من جهة أخرى[2] .

واعتنى العمانيون ببناء السفن الشراعية القادرة على الإبحار في المحيط الهندي وبحر العرب والخليج . واستطاعوا الوصول بسفنهم هذه إلى مناطق شرقي أفريقيا في أوقات هبوب الرياح الموسمية . وعليه فإن بناء السفن التجارية الشراعية ، وبناء سفن الغوص ، يعدّان ظاهرة حضارية مميزة ، زودت الساحل الأفريقي الشرقي بفن صناعة السفن . وأصبح العمانيون على علاقة

(١) انظر المراسلات الحكومية في عهد السيد سعيد بن سلطان وخلفائه في زنجبار في الوثائق التي نشرها:

د . أبو علية، عبدالفتاح حسن، من وثائق تاريخ عمان الحديث، طبع ونشر دار المريخ بالرياض . وهي وثائق جلها من وثائق الأرشيف الوطني للولايات المتحدة الأمريكية بمدينة واشنطن دي . سي .

(٢) انظر : المعمري ، أحمد ، عمان وشرقي أفريقية ، ص١٠ .

قوية مع مناطق شرقي أفريقيا[1] ، وأصبحوا فيما بعد أصحاب السلطة التجارية والسياسية في تلك المناطق . وظل التأثير الحضاري العماني متفوقاً على غيره .

ومن أبرز مظاهر الجهد الحضاري التجاري العماني ما قام به العمانيون في شرقي أفريقيا من تأسيس المراكز الاستيطانية العربية الإسلامية التي ظلت تعتمد في المقام الأول على العمل التجاري، بحكم الموقع الذي أقاموا فيه مراكزهم من جهة، وبحكم عملهم التجاري من جهة ثانية ؛ كما أن النمط التجاري هذا ظل رائداً للجماعات العمانية التي توغلت في الداخل بمساعدة الحكومات العمانية، وبخاصة حكومة البوسعيد ، واستطاعت تلك الجاليات من إقامة مراكز تجارية على الطرق التجارية الداخلية في أفريقيا. وأصبحت تلك الجماعات العمانية والعربية الأخرى مصدر إشعاع حضاري في عمق القارة الأفريقية.

وتعد عملية إقامة المراكز الاستيطانية العمانية في ساحل أفريقيا الشرقي وفي الداخل، ظاهرة حضارية ذات تأثير حضاري على شعب البلاد من الأفريقيين بما أنشؤوه من مراكز عمرانية ومراكز اقتصادية، ومراكز تعليمية أدت إلى تطوير المنطقة ؛ لأن الشعب العماني له تجارب كبيرة في مجالات السفر والتجارة، وركوب البحر، والاحتكاك بالآخرين . وكانت تلك البلاد بحاجة إلى عملية تطوير كهذه . وقد اعترف الجميع ممن لهم صلة بالمنطقة، بجهد العرب العمانيين في هذا المجال، وبخاصة الهنود والأوربيون والأفريقيون أنفسهم .

---

(١) المغيري ، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، طبعة وزارة التراث القومي بسلطنة عمان، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي (بدون) ص١٥ .

ولا شك أن التأثير الحضاري العماني التجاري بلغ ذروته في عهد السيد سعيد بن سلطان ، أقوى سلاطين دولة البوسعيد الذي شجع الحركة التجارية ليس في ساحل أفريقيا الشرقي ، وإنما شجع التجار العمانيين على التوغل في قلب القارة الأفريقية ؛ وكما شجع رعاياه الأفريقيين على العمل بالتجارة ، وكذا الحال بالنسبة للتجار الأجانب الذين توافدوا إلى تلك البلاد . فإن السيد سعيد سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية[١] وبفضل هذا التشجيع ازدهرت التجارة والمؤسسات التجارية ، وزادت أنشطة حركة السفن ذهاباً وإياباً إلى مناطق شرقي أفريقيا ، وبخاصة إلى زنجبار التي لعبت دوراً بارزاً في التجارة الدولية في تلك المنطقة في عهد السلطان سعيد . وطارت سمعة الدولة العمانية وشهرة حاكمها السيد سعيد إلى أرجاء العالم في الدوائر الرسمية والمؤسسات التجارية الدولية في كل من الهند وأوربا والعالم الجديد والولايات المتحدة الأمريكية[٢]، بفضل ما قام به هذا الحاكم من أعمال حضارية، ساهمت إلى حد كبير في عمران مناطق شرقي أفريقيا وازدهارها ؛ لأن هذا الحاكم وسع أسطوله التجاري في المحيط الهندي [٣] ليتوازى هذا الجهد مع الجهد التجاري الكبير الذي تحقق في عهده . ونستطيع من خلال تلك الأحداث أن نقدر الجهد الحضاري النشط الذي ساهم به العمانيون في شرقي

---

(١) Coupland, Ezploitation of East Africa, P. 5.

(٢) Hamilfon, Genesta, Princes of Zinj, The Rulers of Zanzibar, (London, 1957) P. 62 .

وانظر أيضاً : Coupland, East Africa, pp. 367 - 68 .

(٣) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, Vol. 1, Historical Section (Calcutta, 1915) , P. 659 .

أفريقيا ، ليس في الساحل وإنما شجع السيد سعيد بن سلطان رعاياه من العمانيين للتوغل إلى قلب القارة الأفريقية [1] ، والتعرف على مجاهلها عن طريق عملياتهم التجارية في تلك المناطق ، وقد ساعد هذا على تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك المناطق ، مما أثر تأثيراً حضارياً مفيداً على سكان تلك المناطق . وبفضل الحركة التجارية النشطة أصبحت زنجبار وغيرها من موانئ الساحل الأفريقي الشرقي تعج بالتجار من كل أقطار العالم[2]، وفي هذا التقاء حضاري ممتاز ، إذ تلتقي فيه مجموعة حضارات في مكان معين . إضافة إلى أن تلك الموانئ التجارية أصبحت تعج بأنواع البضائع المختلفة الآتية من الصين والهند وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، زيادة على السلع المحلية . فعم المنطقة رخاء اقتصادي ؛ كما أن البضائع المحلية مثل العاج والقرنفل والصمغ واللبان المحلي وزيت جوز الهند والخيول وغيرها أصبحت من السلع المهمة التي تصدر إلى العالم[3] ، مما أكسب تلك المنطقة شهرة عالمية .

وعملية حضارية أخرى هي أن السيد سعيد بن سلطان كان قد وسع أسطوله البحري ، وأصبح أكبر أسطول مجاور للمنطقة الممتدة من رأس الرجاء الصالح إلى اليابان ، وأصبحت واردات دولته تزيد كثيراً على مصروفاتها ،

---

(١) الداود ، محمود علي ، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٣٤ .

(٢) Bennett, Norman R. A History of the Arab State of Zinzbar, p. 15

(٣) Benntt, The Zanzibar letters of Edward D. Ropes, 1882 - 1897 (Boston, 1973) P. V11.

وكان للسيد سعيد عدد من السفن التجارية ، وهي في أكثرها هدايا من أمراء المناطق المجاورة[1] .

وقد اتسع مفهوم الدولة العمانية وواجباتها ، واتسعت أيضاً صلاتها بغيرها، وكذلك علاقاتها الدولية عن طريق توقيع المعاهدات التجارية والقنصلية[2] التي تسهل الأعمال التجارية الدولية . واستطاعت الدولة بفضل أجهزتها الإدارية أن تحل المشكلات التي نجمت عن التطبيق والممارسة في مجال الأعمال التجارية ، وما كان يحدث بين الحكومة العمانية وبعض الشركات الأجنبية ، وما يحدث من خلاف بين الدولة العمانية وبعض الدول الأجنبية بسبب تفسيرات بعض بنود المعاهدات الموقعة بين الطرفين[3] ، وبفضل ما حل في البلاد من رخاء اقتصادي عم العمران الذي اتخذ طوابع مختلفة معبراً عن مدى الاحتكاك الحضاري بين الجماعات الموجودة في المنطقة من أفريقيين عرب، وأوربيين وفرنسيين، وألمان، وأمريكيين وغيرهم . وغدت البلاد تجمع في عمرانها بين الطابع المحلي وطابع فن البناء العربي والفارسي والأجنبي ، ويذكر لنا بيرس Pearce أن السيد سعيد بنى حمامات مزينة بالطابع الفارسي[4] إلى جانب القصور ذات الفن المعماري الرفيع . وهكذا كانت التجارة العمانية قد

(١) Roberts, Edmund, Embassy to the Eastern Courts of Cochin - China, Siam and Muscat, during the years 1832 - 34 (New York, 1837) p. 361 .

(٢) - Pearce, F. B. (Major) Zanzibar (London, 1967).

(٣) د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، من قضايا الخلاف في تطبيق بنود معاهدة عام ١٨٣٣م بين سلطنة مسقط وتوابعها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، مجلة العصور ، العدد الأول ، ١٩٨٦م.

(٤) Pearce, OP. Cit., P. 123.

تبوأت مكانة مرموقة في شرقي أفريقيا ، وقد أثرت حضارياً على المنطقة الأفريقية . ويعد عهد السيد سعيد بن سلطان من أبهى عصور حكام دولة البوسعيد في التجارة والاقتصاد ، وإدارة دفة الحكم ، فهو مؤسس الدولة العمانية البوسعيدية في مناطق شرقي أفريقيا . وعده ولستد Wellsted من أعظم رجال عصره في المنطقة[١].

ولم يقتصر التأثير الحضاري العماني في شرقي أفريقيا على نشر الإسلام واللغة العربية والتجارة ، وإنما امتد ذلك إلى مجالات العمران ، فشمل عمران المدن ومراكز الاستيطان وبناء المنازل والقصور ذات الطابع العربي العماني ، وقد تجلى هذا الطابع في كل المدن التي قطنها العرب العمانيون ، إضافة إلى القصور التي أنشأها الحكام هناك .

هذا وقد تأثر الأفريقيون بعادات أهل عمان وتقاليدهم وحياتهم الاجتماعية، وأصبحت السمة العربية بارزة في كل المجالات في تلك المناطق . وكذلك أثر العمانيون على الأفريقيين في مجال ركوب البحار وصناعة السفن وفن ممارسة التجارة . وقد امتد هذا التأثير العماني حتى مناطق الكنغو .

وجدير بالذكر أن زنجبار غنية بالمياه الصالحة للشرب ، وأن تربة الجزيرة صالحة للزراعة ، وقد شجع هذا السيد سعيد على الاهتمام بأمر الزراعة في أملاكه الأفريقية ، وبخاصة في زنجبار[٢] ، ليكون هذا مورداً آخر يضاف إلى الموارد التجارية ، وقد اهتم السيد سعيد بزراعة القرنفل وهو انتاج زراعي

(١) Wellsted, J. R., Travels to the city of the Caliphs, Along the Shores of the Persian Gulf and Mediterranean (London, 1840) p. 51 .

(٢) Maamiry, Ahmed, Oman and East Africa (NewDelhi 1979) p. 65.

تعتمد زنجبار كثيراً على زراعته، وأصبح القرنفل مصدراً رئيساً للدخل القومي في زنجبار . وظلت زنجبار تعنى بزراعة القرنفل حتى أيامنا الحاضرة ، وهو أهم مصدر إنتاج لها على طول مساحة العالم فهي تنتج منه ٩٥٪ من نسبة انتاج العالم[١] .

وبهذا الأسلوب الحضاري في مجال الزراعة يكون السيد سعيد قد هيأ لرعاياه في شرق أفريقيا زراعة تدعم دخل بلادهم على مر الزمن ، وتعمل على رفع مستوى الحياة الاجتماعية للسكان هناك ؛ ولأن حكومة السيد سعيد استفادت كثيراً من أرباح تصدير القرنفل وتجارته ، زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون . ومن بين المزروعات التي أدخلت إلى زنجبار زراعة قصب السكر في بعض المقاطعات الأفريقية ، وبخاصة في جزيرتي زنجبار وبمبة[٢] .

ومن المظاهر الحضارية العمانية الأخرى في مناطق شرقي أفريقيا ، أن السيد سعيد أدخل نقداً جديداً في شرقي أفريقيا ، ليحل محل النقود الأجنبية المستخدمة في التجارة في تلك المنطقة ، مثل ريال مارياتريزا والريالات الألمانية والأسبانية . وكان النقد الجديد عبارة عن عملة هندية[٣] . ومن هنا يتضح التأثير الهندي ، ثم يتضح التأثير العربي العماني في المنطقة .

وهكذا كان الجهد العماني الحضاري كبيراً في شرقي أفريقيا في مجالات حضارية كثيرة على الرغم من الصعوبات والمشكلات التي كانت تظهر بين الأونة والأخرى، بعد عهد السيد سعيد بن سلطان . وعلى الرغم من هذا كله فقد ظل

(١) Coupland Exploitation P. 4.

(٢) Coupland, East, P. 304 .

(٣) Coupland, East, p. 304.

هذا الجهد جهداً واضحاً ومميزاً، وقد طبع بالطابع العربي العماني، وظل العمانيون هم أكثر تأثيراً في مجال الحضارة في شرقي أفريقيا من غيرهم من العرب الآخرين .

المصادر والمراجع

١ - ارنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط٢ ، القاهرة ١٩٥٧م .

٢ - الداود ، محمود علي ، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٤م .

٣ - زيدان ، جورجي ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، جـ ١ ، بيروت .

٤ - السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا من ١٦٣٤ - ١٧٤١ ، بيروت ١٩٧٥م .

٥ - المغيري ، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار تحقيق عبدالمنعم عامر ، طبع وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، مطبعة عيسى البابي الحلبي (بدون) .

٦ - المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان .

٧ - د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، من وثائق الأرشيف الوطني للولايات المتحدة الأمريكية بواشنطن ، دار المريخ للنشر بالرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٨ - د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣ - ١٨٦٢م ، بحث منشورات بمجلة كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، العام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٩ - د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٠- د . أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، من قضايا الخلاف في تطبيق بنود معاهدة عام ١٨٣٣م بين سلطنة مسقط وتوابعها وبين الولايات المتحدة الأمريكية مجلة العصور ، العدد الأول ، ١٩٨٦م .
١١- د . قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عمان وشرقي أفريقيا ، ١٧٤١ - ١٨٦١ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
١٢- د . قاسم ، جمال زكريا ، الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، بحث من بحوث ندوة الدراسات العمانية ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . نشر في حصاد ، المجلد ٣ .
١٣- القطامي ، عيسى ، دليل المختار في علم البحار ، ط٤ ، الكويت ١٩٧٦م .
١٤- وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، حصاد ، ندوة الدراسات العمانية ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ / نوفمبر وشرق أفريقيا من ١٦٣٤ - ١٧٤١ ، بيروت ١٩٧٥م .